عشرة آداب لطالب العلم

إعداد

د. عبد العزيز بن رئيس الرئيس
المشرف العام على شبكة الإسلام اليوم

فهرس

مقدمة ١

تمهيد: الأدب هو حسن الخلق ٢

الأخلاق الحسنة معنًى عام، ويجمعها: ٢

من معاني الاخلاق الحسنة: الشهامة والرجولة ٣

أكثرت الأدلة من ذكر حسن الخلق ٣

مما يُعين على حسن الخلق ٤

الأدب الأول: طالب العلم مع ربه ٧

الأدب مع الله يكون بأمور ٧

الحذر من القول على الله بغير علم ٩

الأدب الثاني: أدب طالب العلم مع والديه ١١

الجمع بين طاعة الوالدين وطلب العلم ١١

الأدب الثالث: طالب العلم مع زوجته ١٣

العزوبية ليست من الإسلام في شيء ١٣

أمور تجعل الزواج -بحول الله- مُعينًا على تحصيل العلم ١٤

صفات ينبغي توفرها عند اختيار طالب العلم للزوجة ١٥

الأدب الرابع: طالب العلم مع ولده ١٩

حال الأنبياء والصالحين مع أبنائهم ١٩

تعارض مسؤولية الأبناء مع طلب العلم ٢٠

الحرص على اختيار الأصحاب للأبناء ٢١

معنى عداوة الأزواج والأبناء في القرآن ٢١

الأدب الخامس: طالب العلم مع المال ٢٢

فتنة المال ٢٢

التعامل الحكيم مع المال ٢٢
مشكلة طالب العلم مع المال ٢٣
أمور ينبغي لطالب العلم مراعاتها مع المال ٢٤
أهمية الاقتصاد في النفقة والتحذير من التساهل في ذلك ٢٥
ثلاث إشارات تتعلق بحال طالب العلم مع المال ٢٧
الأدب السادس: طالب العلم مع الحفظ ٣٠
وجه أهمية الحفظ لطالب العلم ٣٠
المحفوظات من حيث الجملة نوعان ٣٠
ينبغي أن يُراعى في الحفظ أمور ٣١
تنبيه مهم في الحيرة بين الحفظ والفهم ٣١
الأدب السابع: طالب العلم والمراجعة ٣٤
قيمة كل امرئٍ ما يُحسنه ٣٤
ما يُراجع من حيث الجملة نوعان ٣٤
الأدب الثامن: طالب العلم مع شيوخه ٣٦
منزلة العلماء ٣٦
ليكن طالب العلم كالنحلة في الاستفادة من شيوخه ٣٧
الأدب التاسع: طالب العلم مع الدرس ٣٩
قيمة الدرس الذي يُقدمه الأستاذ ٣٩
التأدب أثناء الدرس ٤٠
الأدب العاشر: طريقة ضبط العلم وتحصيله ٤١
الدارسين للعلم على أقسام ثلاثة من حيث الجملة ٤١
أهمية نشر العلم، وبعض أساليب المطالعة وتدوين الفوائد ٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... أما بعد:

فقد اطلعت على تفريغ لمحاضرة بعنوان: (آداب طالب العلم)، قام بتفريغه بعض الإخوة ووضعوا له فهرسًا، وأسميته:

(عشرة آداب لطالب العلم)

أسأل الله العظيم أن يتقبَّله وأن يجعله نافعًا لخلقه، إنه الرحمن الرحيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

http://islamancient.com

٣ / ١٢ / ١٤٤١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

الأدبُ هو حُسن الخُلق، أسأل الله الذي لا إله إلا هو ذا الجلال والإكرام بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، أن يُجمِّلنا بالأدب، وأن يُحسِّن أخلاقنا، وأن يُحسن أعمالنا، وأن يرضى عنا ويتوب علينا وهو أرحم الراحمين.

وأمر الأدب أمرٌ عظيم، وهذه الرسالة خاصةٌ بطلاب العلم؛ لذا المراد بالآداب: أي الأخلاق الحسنة، وقد كان السلف يعتنون بالأدب لاسيما فيما يتعلق بطالب العلم، ولهم في ذلك آثارٌ وكلمات عظيمة، منها ما روى الخطيب في كتابه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) أن عبد الله بن المبارك قال: "**قال لي مخلد بن الحسين: نحن إلى كثيرٍ من الأدب أحوَجُ منا إلى كثيرٍ من الحديث**".

وروى الخطيب أيضًا عن ابن سيرين -رحمه الله تعالى- أنه قال: "**كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم**". أي: يتعلمون الآداب وحُسن الخلق كما يتعلمون العلم.

وهذان الأثران وغيرها من الآثار دالةٌ على عظيم اهتمام سلف الأمة بالآداب وحسن الخلق، وينبغي أن يُعلم أنه إذا أُطلق "حسن الخلق" فالمراد خُلق الناس بعضهم مع بعض، كخلق الإنسان مع والديه، أو إخوانه، أو أقاربه، أو أصحابه في الطلب أو في العمل، أو مع الناس كلهم، أو غير ذلك، لكن إذا ذُكرَ في حق طالب العلم ففي الغالب يُذكر حسن خلق طالب العلم في طلبه للعلم، ومع معلّمه، وزملائه ...إلخ.

الأخلاق الحسنة معنًى عام، ويجمعها: التعامل الحسن مع خَلْقِ الله، من الكرم، وعدم الكلام إلا فيما ينفع، كما ثبت في الصحيحين أن النبي -ﷺ- قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت».

من معاني الأخلاق الحَسَنة: الشهامة والرجولة المنضبطة بالشرع لا بالعادات المُخالفة للشرع، وكذلك تجميل المُحيَّا بالابتسامة، وبرِّ الوالدين، وصِلَة الأرحام، إلى غير ذلك من المعاني الكثيرة لحسن الخلق.

أكثرت الأدلة من ذِكر حسن الخلق، وأُشير إلى بعض الأدلة التي فيها كفاية -إن شاء الله تعالى- في هذه الرسالة المختصرة:

الدليل الأول: أن الله تعالى جعل الأدب وحسن الخلق سببًا لمحبته، فمن المنازِلِ العالية أن يُحبَّ اللهُ عبده كما قال السلف: **"ليس الشأن كل الشأن في أن تُحبَّ اللهَ، وإنما الشأنُ كل الشأن في أن يُحبكَ اللهُ"**.

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] وقال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] والإحسان والصبر كلاهما من حسن الخلق.

الدليل الثاني: روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي -ﷺ- لم يكن فاحشًا ولا مُتفحِّشًا، وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا»، ومعنى قوله: **"لمن يكن فاحشًا"** أي: في كلامه، وقوله: **"ولا مُتفحِّشًا"** أي: لا يتعمَّد التَّفحُّش، كما بيَّن هذا ابن الأثير في كتابه (جامع الأصول).

فلو لم يكن من فضل حسن الخلق إلا أن ذا الأدب والخلق الحسن هو من خيار الناس ومن خيار أهل الإيمان، لكان كافيًا في الجد والاجتهاد في هذا الباب العظيم.

وقد أفاد شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- كما في (مجموع الفتاوى)، وابن القيم في كتابه (مدارج السالكين)، أن جِمَاعَ الأخلاقِ الحسنة في قوله تعالى: ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فمن تأمَّل هذه الآية علِمَ أن الأخلاق الحسنة تدور على هذه الأمور الثلاثة:

قال: ﴿خُذْ الْعَفْوَ﴾ أي: ما أتاك من الناس فاقبله ولو قصَّروا، فإن من تدبَّر واقعَ كثير من المشاكل والخلاف وسوء الخلق يرجع إلى مثل هذا، يرى فلانٌ أن فلانًا قصَّر في حقهِ، أو لم يُنزِلْهُ المنزلة التي تليق به في نظره، إلى غير ذلك.

قال: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: إذا خرَجَ منك شيءٌ فلا يخرج إلا الخير، من كلمةٍ حسنة وغير ذلك، فتأمر بالمعروف شرعًا وبالمعروف عادةً وعُرفًا بما لا يُخالف شرع الله.

قال: ﴿وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: إذا أخطأ عليك أحد فأعرض عنه، هذا من عامة الناس فكيف إذا كان من إخوانك؟ فإنك تُقابل ذلك بالصبر مُبتغيًا الأجر عند الله فتُعرض عنه، وكذلك إذا كان من الأقارب والإخوان والأخوات، فإنه يكون الأجر أعظم وأعظم.

ومن تأمَّل هذه الآية تبيَّن له أن هذه الآية قد جمعت جِمَاع الأخلاق، كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم -رحمهما الله تعالى-.

والكلام عن حسن الخلق سهلٌ، لكن السَّعيَ في تحصيلهِ صعبٌ.

مما يُعين على حُسن الخلق أمور:

الأمر الأول: الدعاء، فقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي -ﷺ- كان يدعو ويقول: «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت». الله أكبر! إنه رسول الله -ﷺ- ذو الخلق العظيم مع الله ومع خلقه، كان يدعو الله بهذا! فكيف بنا؟

الأمر الثاني: مجاهدة النفس على حُسن الخلق، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وقال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ [الزخرف: ٤٣] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥].

فلابد من المجاهدة على حسن الخلق ومحاسبة النفس في ذلك، تُخطئ اليوم وترجع، وتستدرك الأمر من الغد، وهكذا، من المجاهدة والمجالدة في ذلك.

الأمر الثالث: تذكُّر فضلِ حسن الخلق، وقد تقدم ذكر بعض فضائله، فإن لحسن الخلق فضائل عظيمة ينبغي أن نتذكرها وأن نستشعرها، وأؤكد أن أعظم حسن الخلق هو أن يكون بين أهل السنة بعضهم مع بعض، في الابتسامة والمعاملة الحسنة، وأن يستشعر كل واحد منا حال أخيه وأن نستشعر ما ثبت في البخاري من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشُد بعضه بعضًا».

ونستشعر ما ثبت في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير أن النبي -ﷺ- قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائل الجسد بالسهر والحمى»

ونستشعر قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] والله وبالله وتالله، لو استشعرنا هذه الأدلة الثلاثة وجاهدنا أنفسنا على أن نكون على هذه المرتبة لزال كثير من الخلاف بين إخواننا، ولتحمّل كل واحد منا صاحبه. فأعظم حسن الخلق هو ما كان بين أهل السنة بعضهم مع بعض، لاسيما في زمن الغربة، كما روى اللالكائي عن الثوري أنه قال: "استوصوا بأهل السنة خيرًا، فإنهم غرباء".

ومن تدبَّر كثيرًا من المشاكل والخلافات التي تحصل بين إخواننا من أهل السنة، يجد أن كثيرًا منها -لا كلها- يرجع إلى عدم ضبط هذا الباب وإلى التقصير فيه، إما علميًا أو عمَليًا، من حُب الرئاسة والزعامة، وهذا لا يتفق مع قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولا يتفق مع قوله تعالى: ﴿خُذْ الْعَفْوَ﴾، فحب الرئاسة والزعامة سببٌ عظيم للخلافات، كلٌ يريد أن يترأَّس، وكلٌ يريد أن تكون كلمتهُ مُقدمة على الآخر، وكلٌ يريد أن يكون هو المرجِع دون غيره، إلى غير ذلك، لذا لما ذكر الله أهل النار قال: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨-٢٩].

وثبت عند الترمذي من حديث كعب بن مالك أن النبي -ﷺ- قال: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» تأمَّل قوله: «الشرف» أي: الجاه، فالتقى هذا الحديث مع قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ كما بيَّن هذا شيخ الإسلام ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى).

فكثير من الخلافات ترجع لمثل هذا، من حب الوجاهة والتقدم والشرف وأن يكون للإنسان وجود، لكن والله لو أن أحدنا احتقر نفسه وازدراها، وتذكَّر أن أول عدوٍ له هي نفسه، وهي التي تُردي الإنسان في المهالك، كما قال تعالى: ﴿فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات، فعُلم أن النفس لا تستحق كل هذا، قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه (مدارج السالكين): وقد أجمع العارفون على أنه لا عدو أعدى للإنسان من نفسه. يا لله! مع أن النفس أعظم عدو، إلا أن حالنا مع أنفسنا على خلاف ذلك، ننتقم لها ونصول ونجول لها، أسأل الله أن يهدينا وأن يُعاملنا برحمته وهو أرحم الراحمين.

وأبدأ بآداب طالب العلم:

الأدب الأول: طالب العلم مع ربِّه.

الأدب مع الله تعالى يكون بأمور:

إن أعظم أدبٍ لطالب العلم هو أدبه مع ربه الذي لا إله إلا هو، ويكون بأمورٍ منها:

الأمر الأول: الإخلاص، وما أدراك ما الإخلاص، وحقيقته: ألا يكون دافعُ طالب العلم في طلبه العلم إلا الله والدار الآخرة، ولا يريد مدحًا، ولا ثناءً، ولا علوًّا في الأرض، ولا حظًا دنيويًا، وإنما يريد الله والدار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾ [الليل: ٢٠] وقال: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء: ١١٤].

ويُقابل الإخلاص: الشرك، وهو أن يبتغي غير الله مع الله، أخرج مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مع عملَ عملًا أشركَ فيه معيَ فيه غيري، تركته وشركه».

وأخرج الإمام أحمد من حديث محمود بن لبيد -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» فسُئل عنه فقال: «الرياء».

إن ذكر الإخلاص على الألسن سهل، وذكره الله في القرآن والسنة كثيرًا، ومع ذلك المُوفق له قليل، أسأل الله برحمته أن يجعلني وإياكم منهم، قال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] ﴿لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ﴾ أي: جاهًا، وإنما يريدون الله والدار الآخرة. اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.

ومن المعلوم أن الأعمال المُتعدِّية كالعلم، تحتاج إلى مجاهدة أكبر في الإخلاص وابتغاء الله والدار الآخرة، لذا أخرج مسلم من حديث أبي هريرة أن أول من تُسعِّر بهم النار ثلاثة، وذكر منهم صاحب العلم والمال والشجاع، فإنها أعمال مُتعدية تحتاج إلى

مُجاهدة، فليكن لنا ساعة نخلوا بها مع الله ونُراجع أنفسنا، ماذا نريد من العلم؟ وماذا نريد من هذا الجهد الذي نفعله من بحث وقراءة وإجابة سؤال ونُصح الناس ...؟

أسأل الله الكريم أن يُعاملنا برحمته.

الأمر الثاني: عدم العُجب بالعمل، فإن العُجب بالعمل سوء أدب مع الله تعالى، كما قال قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨].

العُجب: هو إشراك للنفس. فيرى أن لنفسه مكانةً بحيث إنها حصَّلت هذا العلم دون غيره من الناس، وهذا شرّ، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن العُجب مُحبط للعمل كالرياء، إلا أن الرياء إشراك للناس، والعُجب إشراك للنفس.

يا سبحان الله، كيف نعجب بأنفسنا ونحن نرى ضعفها؟ من النسيان والكسل ومعصية لله، إلى غير ذلك من التقصير الكبير الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

الأمر الثالث: الحرص على ترك الذنوب والمعاصي، سواء كانت ظاهرة أو باطنة، علانيةً أو سرًا، فإن كلَّ بلاءٍ في الدنيا هو بسبب الذنوب، فلنحرص على ترك الذنوب، ولنجتهد على محاسبة النفس، روى البيهقي في (شعب الإيمان) عن بلال بن سعد أنه قال: "**لا تنظر إلى صِغَر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت**".

فالمعصية سبب البلاء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ [الجن: ٢٣].

الأمر الرابع: التعبُّد بالعلم، وهذا أدبٌ عظيم ورفيع، وسبب لربح كبير، فكما يتعبَّد القائم في أجواف الليل بالصلاة، والقارئ للقرآن بالقرآن، والمتصدِّق بالصدقة... فينبغي لطالب العلم أن يتعبَّد بالعلم، وأن يستشعر أن هذا العلم أفضل عبادة تطوعية.

قال ابن رجب: وثبت عن أبي موسى أنه قال: "**لمجلسٌ أجلسه مع ابن مسعود ساعة، هو أوثق في نفسي من قيام ليلة**".

الأمر الخامس: عدم الكلام إلا بعلم، وقد ألَّف ابن القيم كتابه (إعلام الموقعين) ويسمى: (معالم الموقعين)، والمراد بالموقعين: العلماء، فإنهم مُوقِّعون عن الله، وقد ذكر العلماء آثارًا كثيرة في ذم الكلام بغير علم، وأن من تَرَكَ "لا أدري" فقد ضُرِبَ في مَقتل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فإياك والتكلم في دين الله بغير علم، وإياك والتكلم فيه بظن، فإن توهَّمت أو شككت، فبيِّن أنك شككت، كما ذكر هذا ابن تيمية -رحمه الله تعالى- وإذا لم تعلم فقل: لا أدري. فإن من ترك "لا أدري" فقد زلقت به القدم، ونسيَ أنه يتعبَّد لله بالعلم، ثم نسيَ أنه مُبلِّغ عن الله ورسوله -ﷺ- فكيف يتقدَّم بين يدي الله ورسوله بالكلام في العلم بغير علم؟ انجُ بنفسك، وإياك أن تكون كالشمعة، تحرق نفسك لتُضيء لغيرك، بل كُن نورًا، تُضيء لنفسك ولغيرك.

فليتق الله طالب العلم، وليتق الله الذي يراه ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، فياله من ذنب عظيم وجُرم كبير أن يتكلم في دين الله بغير علم، أسأل الله أن يُعيذنا من ذلك وهو أرحم الراحمين.

الأمر السادس: ألا يتقدَّم أحدٌ بين يدي الله ورسوله بقولٍ غير قول الله ورسوله في دينه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١] وقد أمر الله عند التنازع والاختلاف أن نرجعَ إلى الكتاب والسنة، قال سبحانه: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠] وقال: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

وقد أمَرَ الله بطاعة رسوله -ﷺ- في أكثر من ثلاثين موضعًا في القرآن، ذكر هذا الإمام أحمد، وذكره الآجري في كتابه (الشريعة)، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى).

وقد أصبح كثير من الناس في هذا على طرفي نقيض، قسمٌ صار يخوض هذا البحر العظيم بلا آلة اجتهاد، فيخبط خبطَ عشواء، ويتقوَّل على الله بغير علم وبلا تثبُّت، وصار كمثل الذي يخوض البحر وهو لا يُحسن السباحة، فأصبح عنده انفلات في الاجتهاد باسم اتباع الدليل.

والقسم الآخر المُقابل له: هو من تعلَّق بأقوال الرجال وتعصَّب للمذاهب الفقهية، بحُجَّة التأصيل في العلم والفقه، وكلا القسمين والطرفين خطأ، فإن الاجتهاد مَطلَب، لكن لابد أن يكون بآلته وبطرق أهل العلم، والتعصُّب للمذاهب مذموم، وهذا لا يعني ألا نتفقَّه على كتب فقه المذاهب الأربعة، بل نتفقَّه عليها، ونجعلها كالفهرس، كما بيَّن هذا الشيخ سليمان بن عبد الله في كتابه (تيسير العزيز الحميد)، فنتعلّم من هذه الكتب رؤوس المسائل، وننطلق في دراسة المسألة والنظر في دليلها.

وقد شاع وانتشر في هذه السنوات التعصُّب باسم التأصيل في الفقه، فينبغي أن نتقي الله وأن نجعل الدليل مرجعنا ورائدنا والمَفْزَعَ لمعرفة مُراد الله سبحانه وتعالى.

الأدب الثاني: أدب طالب العلم مع والديه.

من المعلوم أن أعظم حقٍ للعباد بعضهم مع بعض هو حق الوالدين، لذا قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [الإسراء: ٢٣] فبَدَأ بأعظمِ حق لله وهو التوحيد، ثم بَدَأ بأعظم حق مع الخلق وهو حق الوالدين، وزاد الأمر أهميةً بأن قَرَنَ حق الوالدين بحقه سبحانه وتعالى، فللوالدين حقٌ عظيم، وأولى من يقوم بذلك طلاب العلم الذين هم طلاب الوحي.

والعلم نوعان:

فرض، وهو ما بين فرضِ كفاية أو فرض عين. والثاني مستحب.

وقد ذكر نحوًا من ذلك ابن المبارك -رحمه الله تعالى- فيما نقله ابن رجب في شرح حديث أبي الدرداء، وذكر مثله ابن رجب، وذكره الحليمي في (شعب الإيمان)، والبيهقي في (شعب الإيمان)، وذكره غيرهم من أهل العلم.

الجمع بين طاعة الوالدين وطلب العلم:

طاعة الوالدين واجبة، لكن لا تُقدم على العلم الواجب، وإنما تُقدَّم على العلم المستحب؛ لأن طلب العلم الواجب حقٌ لله، وحق الله مُقدم على حق كل أحد، ومنهم الوالدان، أما طلب العلم المستحب فإن حق الوالدين مُقدَّمٌ عليه.

وكثير من الناس يسأل: كيف يجمع بين طلب العلم وحق الوالدين؟ فيقال: لا تعارض بينهما، بل القيام بحق الوالدين بركة، وسببٌ للتوفيق والاستمرار في العلم وضبطه وتحصيله؛ لأنه أعظم طاعة لله، وطاعة الله فيها خير الدنيا والآخرة.

وليُعلم أن الوالدين يختلفان، فمن الوالدين ما يحتاجان للولد، ففي مثل هذا الولد يُسدد ويُقارب، وقد لا يحتاج الوالدان للولد، لكنهما لا يريدان أن يطلب العلم لأي سبب كان، فمثل هذا -كما يدل عليه كلام أحمد وابن تيمية- لا يُطاعان، لأنه لا ضرر لهما في ذلك، لكن كما قال أحمد: لا يُردَّان، ويكون وسطًا، لا يُطيعهما ولا يردهما، وإنما يُداريهما، وفي هذا تفصيل، لكن ليُعلم أن طاعة الوالدين سبب للبركة في طلب العلم، وكثير من

الناس يُضيع وقته سهرًا مع أصحابه في قيل وقال، أو في سفر نزهة، أو غير ذلك، ثم إذا جاء حق الوالدين تأفَّف زعمًا أنه يقطعه عن العلم، وهذا لو كان صادقًا مع نفسه لعلم أن الأمر على خلاف ذلك، وصدق الله القائل: ﴿بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٤-١٥].

فالجاد والمُوفَّق يستطيع الجمع بينهما في الغالب، ويعلم أن بر الوالدين سببٌ للتوفيق في تحصيل العلم، أسأل الله أن يُعيننا على القيام بواجبهما، وأن يغفر لنا ولهم أحياءً وأمواتًا.

الأدب الثالث: طالب العلم مع زوجته.

إن الزواج من أعظم النعم، قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١] فلم يجعل الله الزواج آيةً من آياته إلا لعِظَمه.

ومن عظيم نعمة الزواج أن النبي -ﷺ- أمر الشباب به وبالمبادرة بفعله، كما روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج». والكلام على الزواج ونِعمه وفضله شيء عظيم وكثير.

والعزوبية ليست من الإسلام في شيء، وقد ذكر السفاريني عن الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- أنه قال: ليست العزوبية من أمر الإسلام في شيء، النبي -ﷺ- تزوج أربع عشر ومات عن تسعٍ.

ولما ذُكر للإمام أحمد بشر الحارث وأنه كان أعزب، قال الإمام أحمد: ولو تزوج بشر بن الحارث لتمَّ أمره.

وذكر المروذي أنه قال: قلت للإمام أحمد: إن إبراهيم بن أدهم يُحكى عنه أنه قال: يا لوعة صاحب العيال -كأنه يُزهِّد في الزواج والأولاد- قال: فلم يجعله الإمام أحمد يُتمَّ حديثه حتى صاح به -أي رفع صوته- وقال: وقعت في بُنيَّات الطريق، انظر ما كان عليه محمد رسول الله -ﷺ-وأصحابه ثم قال: فبكاء الصبي بين يدي أبيه يطلب منه الخبز أفضل من كذا وكذا، أين يلحق المتعبِّد والعزب؟ انتهى ما انتقيته من كتاب (غذاء الألباب للسفاريني).

فأجر الزواج عظيم، وفضله كبير، وطالب العلم ينبغي أن يكون أحرص الناس على الخير.

أمور تجعل الزواج -بحول الله- مُعينًا على تحصيل العلم:

الأمر الأول: ينبغي لكل متزوج -ومن باب أولى طالب العلم- أن يتعبَّد بالزواج، وبإعفاف نفسه، وبإعفاف زوجته، وأن يتعبَّد بأن يُخلِّف ذرية تُقيم دين الله، ويرجو أن تكون هذه الذرية للمتقين إمامًا، ويتعبَّد بنفقته على زوجته، كما أخرج البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها، حتى ما تجعل في فيِّ امرأتك». فيتعبَّد بكل شيء يُنفقه، من وقته وماله وغير ذلك، حتى يُخلف الله عليه بخير، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

فتعبُّد طالب العلم بالزواج مفيد له، ويُيسر له كثير من العلم؛ لأن الحسنة تدعو أختها، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧] قال ابن كثير في تفسيره: وقد ذكر غير واحد من السلف كعروة بن الزبير وغيره: أن الحسنة تدعو أختها. ومن ذلك العلم، وإذا تعبَّد بالزواج صار مُتقيًا لله لأنه تزوج لأجل إعفاف نفسه، وغير ذلك من المقاصد العظيمة، وقد قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] فيرزقه العلم وغيره من فضله الواسع سبحانه وتعالى.

الأمر الثاني: الزواج مُعين على العلم، وذلك أن الإنسان بطبيعته قد غُرزت فيه شهوة، والشهوة تُشوش عليه، فشهوة النساء مغروزة في الرجال؛ لذا صارت أعظم فتنة هي فتنة النساء، كما أخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «اتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء». وقال فيما روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد -رضي الله عنه- أنه -ﷺ- قال: «ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء».

لذا قال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤] فبدأ بالنساء قبل غيرها من الشهوات.

فالنفوس ميَّالة للنساء وفيها شهوة ولاسيما في الشباب، فيهم شهوات تُشغلهم عن تحصيل العلم، فأصبح الزواج مُعينًا على تحصيل العلم وإدراكه من هذا الوجه، وإن كان الزواج مُشغلًا من وجه آخر، وهو أن طالب العلم إذا تزوج احتاج إلى مال أكثر، فاحتاج إلى بذل وقت أكثر لتحصيل المال، فانشغل عن العلم، والزواج مُشغل من جهة أنه إذا حصل له أولاد انشغل بهم أكثر، فذهب وقت أكثر مع الأولاد، فانصرف بذلك قدر هذا الوقت عن تحصيل العلم.

وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه (الجامع لأخلاق الراوي) أنه ينبغي أن يكون طالب العلم عزبًا إذا لم يكن محتاجًا للزواج أو كان غير قادر عليه، ومما ذكروا في ذلك أثرًا لسفيان الثوري: إذا تزوج طالب العلم فكأنما ركب سفينة، وإذا وُلد له فكأنما غرق.

وهذا الكلام لا شك أنه حق من وجه دون وجه، فالزواج يأخذ وقتًا ويحتاج المتزوج إلى المال، فيذهب في مقابل ذلك وقت، ومثل ذلك للأولاد، وهذا لا يشك فيه شاك وهو أمر واقع ومعروف، لكن ليس هذا الأمر مُبررًا لترك الزواج أو تأخيره، كما بيَّن ذلك الإمام أحمد كما تقدم النقل عنه -رحمه الله تعالى-.

وطالب العلم الجاد -بحول الله وقوته- يستطيع أن يجمع بين الأمرين، فيتعبَّد الله تعالى بالأمرين، فلو كان جادًا وحريصًا في العلم فلا يُبالغ في تحصيل الدنيا، وفي المقابل لا يُبالغ مع زوجته وأولاده ومجالستهم وإضاعة الوقت، بل يكون وسطًا في ذلك ومجتهدًا في العلم وداعيًا إلى الله سبحانه، فمثله يُوفَّق بحول الله لأن نيته طيبة.

صفات ينبغي توفرها عند اختيار طالب العلم للزوجة:

ينبغي على طالب العلم أن يحرص على اختيار الزوجة الصالحة وإن كانت طالبة علم فهذا أولى وأولى، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «فاظفر بذات الدين، تربت يداك»، وأعظم الدين أن تكون صاحبة علم.

وقد سمعت من بعض الفضلاء أنه يُزهِّد من الزواج من طالبات العلم، وهذا فيه نظر، بل طالبة العلم من أعظم النعم إذا كانت ذات دين، وأنا لا أعني بطالبة العلم أن تكون مُحصِّلة للمعلومات وتحضر درس فلان وفلان من المشايخ الأفاضل، وإنما أعني

طالبة العلم التي تجتهد في العلم وتكون ذات خلق ودين وتعرف حق زوجها، فإن مثل هذه أولى من غيرها، أما تحصيلها للعلم مع سوء أخلاقها أو أن تكون مترفِّعة على زوجها ...وغير ذلك، فهذا نقص كبير بل تأثم في هذا، وغيرها من النساء اللاتي لم يطلبن العلم من المتدينات والطائعة لزوجها خير منها.

فينبغي أن نكون وسطًا في هذا الأمر، فنحث أنفسنا والشباب على الزواج من طالبات العلم، لكن أن تكون ذات دين وخلق وتعرف قدر زوجها، وهذا يُعرف بالسؤال عن حالها وحال أهلها، لاسيما لو كان أهلها من بيت صلاح حقًا، ولا أعني ببيت الصلاح أن يكون أبوها عالمًا أو طالب علم، فقد يكون طالب علم لكن بيته ليس بيت صلاح لأسباب كثيرة، وإنما ينتقي انتقاءً، فإذا وُفِّق في طالبة علم بالصفات المتقدمة فهذا من أعظم النعم، فيعض عليها بالنواجذ وليحمد الله سبحانه وليُسابق إلى زواجها، وليتعاون هو وإياها في تحصيل العلم ونشره بما يُناسب حال النساء.

ينبغي لطالب العلم أن يختار زوجة قنوعة، فإذا كانت طالبة علم وتحب العلم وتحب الصالحين وتتأثر بهم حقًا وصدقًا، فلن تكون مُبالغة في الكماليات، ولا منافسة لعامة النساء في هذا الباب، فتكون أقل تكلفة مادية من غيرها، بل تكون منشغلة بالخير، فليُراع طالب العلم مثل هذا.

ينبغي لطالب العلم أن يختار زوجةً ذات ذكاء وفطنة، لأسباب كثيرة منها أن يرى ذلك في ولده، وأن تحسن معيشته معها، فكلما كانت المرأة أفطن وأذكى مع الدين والتقوى كانت أحسن معيشة وأرتب لأمر زوجها وبيتها وأولادها، إلى غير ذلك من المنافع الكثيرة، وقد تكلم ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه (روضة المحبين) ونقل آثارًا في الزواج بالمرأة العاقلة.

الأمر الثالث: ينبغي أن يكون طالب العلم قدوة لزوجته في بيته حتى تستفيد منه، وترى صدقه، فإن أثر الأفعال أكثر من أثر الأقوال، ولعله يتيسر الكلام على هذا أكثر -إن شاء الله تعالى-.

الأمر الرابع: ينبغي أن يجتهد طالب العلم في تعليم زوجته دين الله، وأن يُفقهها وأن يعلمها، وقد اعتنى بهذا أهل العلم وبيَّنوه في كتبهم، وقد قال الله سبحانه: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] فهو مسؤول عن المرأة وأعظم ذلك أن يُعلمها أمر دينها وما خُلقت من أجله وهو عبادته سبحانه، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فليجتهد في تعليمها توحيد الله، والسنة وترك البدعة، وأمور عباداتها الواجبة، وغير ذلك.

روى البخاري ومسلم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي -ﷺ- قال: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، والأب راعٍ في بيته مسؤول عن رعيته».

بوَّب الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- في كتابه الصحيح: **"باب تعليم الرجل أمته وأهله"**، وبوَّب الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالى- في كتابه (الفقيه والمتفقه) قال: **"باب ما جاء في تعليم الرجال أولادهم ونساءهم ..."**. وذكر آثارًا مفيدة في ذلك.

فينبغي لطالب العلم أن يجعل وقتًا من يومه أو أسبوعه -بحسب ظروفه- في تعليم زوجته دين الله، فيشرح لها بالأسلوب السهل، ويُسجل لها الشرح بحيث يسهل لها أن تسمع الشرح وأن تراجعه، ويُناقشها في الدرس ويُشجعها، وهذا أسهل قبل أن تُرزق بالأولاد، وحتى بعد الرزق بالأولاد ولو بلغوا عشرة فلا يزال المجال مفتوحًا ولله الحمد، والطرق كثيرة ومن ذلك أن يعطيها شرحًا لأحد المشايخ الأفاضل في بعض ما ينفعها من دين الله، ثم يسألها، أو تقرأ كتابًا ثم يسألها، والطرق كثيرة لمن أراد ذلك.

الأمر الخامس: ينبغي لطالب العلم أن يعلم أن النساء يختلفن، فليست النساء على درجة واحدة، فمن النساء من تميل للعلم وتستفيد منه، ومن النساء من تنشغل ببيتها وتربية أولادها، فلير ما في المرأة من إيجابيات وليُشجعها على ذلك، وليُكبّر ذلك في نفسها وليُظهر إعجابه ورغبته في مثل هذا، وفي المقابل إن كانت ميَّالة للعلم زاد عليها أكثر، ورغَّبها حتى تكون مساعدة ومُعينة له، وأنا أعرف من إخواننا من زوجته تصاحبه في مكتبته في كل لحظة، فتبحث معه وتُرتب أموره وتساعده، وقد ربّاها وصبر على ذلك

ثم رجع أثر ذلك واستفاد بأن أصبح هو وإياها متعاونين على العلم، لكن هذا يختلف باختلاف النساء، فمن النساء من تقبل مثل هذا، فليحاول في زوجته فإن كانت تقبل مثل هذا فليُكبره في نفسها أيضًا حتى تكون معينة له في تحصيل العلم، ولو قصَّرت في بعض شؤون البيت فإن إعانتها له في تحصيل العلم أولى من تلك الأمور مع عدم إهمالها، فليُسدد وليقارب، وإن كانت المرأة لا تقبل أن تكون معينة لزوجها لطبعها أو غير ذلك فليُشغلها بما هو خير لها مما ينفعها بالطرق التي تقدم ذكرها في الأمر الرابع.

وكذلك يجعلها تكفيه أمر أولاده من تربيتهم والحرص عليهم وعنايتها ببيته، فطالب العلم ينبغي أن يكون فقيه زوجه ويعرف كيف يتعامل معها ويعرف ما ينفعها، وما أمكن أن تنتفع به اجتهد فيه، وهذا كله يحتاج إلى صبر، وليس الأمر بالتمني ولا الكلام وإنما بالصبر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فبالصبر يحصل الخير الكثير، علق البخاري عن عمر أنه قال: "وجدنا خير عيشنا في الصبر". وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «ومن يتصبَّر يُصبِّرهُ الله». فقد تتعب قليلًا لكن يحصل لك خير كثير.

الأدب الرابع: طالب العلم مع ولده.

حال الأنبياء والصالحين مع أبنائهم:

إن الولد نعمة عظيمة وهو من زينة الحياة الدنيا سواء كان ذكرًا أو أنثى، كما قال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤] وقال: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] وقد اعتنى الأنبياء بأبنائهم كما ذكر الله خبرهم في كتابه فقال سبحانه: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢-١٣٣].

وقال إبراهيم الخليل -عليه السلام-: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن الحسن بن علي أخذ تمرةً من تمر الصدقة، فجعلها في فيهِ، فقال النبي -ﷺ-: «كخ... كخ ...» حتى يطرحها، ثم قال: «أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة؟». وثبت في البخاري ومسلم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي -ﷺ- قال: «والأب راعٍ في بيته مسؤول عن رعيته».

والسلف مع انشغالهم بالعلم إلا أنهم كانوا ذوي عناية بأبنائهم، وأخبارهم في ذلك تطول، وقد تكلم على شيء من ذلك الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالى- في كتابه (الفقيه والمتفقه) وبيَّن اعتناء السلف بتربية أبنائهم وبكلامهم الكثير في ذلك، ومما ذكر الخطيب البغدادي في هذا الكتاب قال: "باب ما جاء في تعليم الرجال أولادهم ونساءهم" ثم ساق آثارًا ومما ذكر عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: "أدِّب ابنك، فإنك مسؤول عن ولدك ما علمته، وهو مسؤول عن برك وطاعته لك".

ومما ذكر ابن الجوزي في (مناقب الإمام أحمد): قال عبد الله بن الإمام أحمد: لقَّنني أبي أحمد بن حنبل القرآن كله باختياره. تأمل هذا من إمام أهل السنة مع انشغاله بالعلم -رحمه الله تعالى- تعلمًا وتعليمًا.

تعارض مسؤولية الأبناء مع طلب العلم:

إن الولد أمانة ونعمة، وطالب العلم مع الولد يتعارض في حقه أمران:

الأول: التفرُّغ لطلب العلم.

الثاني: القيام بواجبه الديني والدنيوي.

ولا شك أن بينهما شيئًا من التعارض لكن كل واحد منهم عبادة، وتقدم أن العبادة سبب للتوفيق، فالذي ينبغي على طالب العلم أن يُوازن بين الأمرين، فيكون إقباله الإقبال الشديد على العلم تعلمًا وتعليمًا وتدقيقًا وضبطًا وحفظًا ...إلخ، وألا يُضيع أولاده، فيعتني بتربيتهم ومجالستهم مع مراعاة اختلاف أسنانهم، فيركز على تحفيظ الصغار للقرآن ومتون العلم، وإذا كان لا يستطيع ذلك لانشغاله واستطاعت الأم أن تقوم بهذا فهو خير، لاسيما إذا كانت الأم طالبة علم ومتدينة، فإن لم تستطع الأم فيحضر لهم برجل ديِّن ثقة يُعلمهم ويُحفظهم مع متابعة الأب ولا يدع الأمر ويُهمله، بل لا ينقطع عن متابعتهم ليستمر المعلم جادًا ويستمر الأبناء في التعلم، وهذا كله ميسور ولله الحمد، فلا أظن من الصعب على أكثر طلاب العلم لو جعل كل يوم نصف ساعة أو ساعة لأولاده يُحفظهم ويُراجع معهم، لاسيما في الأوقات التي يكون فيها خمول في العلم أو في الأوقات التي يكون فيها هدوء، وكل إنسان أعرف بنفسه.

فاتقوا الله يا طلاب العلم في أولادكم في تعليمهم واستغلال الفرص والمناسبات، وفي تنشئتهم على التوحيد والسنة، وقد توجد مناسبات مختلفة لدعوتهم وتأكيد السنة في نفوسهم، وتعليقهم بالمشايخ وأهل السنة دون غيرهم، وأن يُرسل لهم المقاطع المفيدة للمشايخ، وأن يدعو المشايخ إلى بيته أو أن يصحب أبناءه معه إلى المشايخ حتى يتعلق أبناؤه بالمشايخ وبأهل الفضل والعلم، فينبغي للأب أن يتقي الله وأن يجمع بين الأمرين وألا يُهمل أبناءه بل يُتابعهم، وإذا كانوا صغارًا غلَّب جانب الحفظ، وإذا تقدموا غلّب جانب الفهم، ويحضر لهم بمعلم وغير ذلك.

الحرص على اختيار الأصحاب للأبناء:

إن من أعظم المسؤولية أن يجتهد في اختيار الأصحاب لهم بأي طريقة، فيبحث عن أصحاب لهم بأن يسافروا جميعًا وغير ذلك، فإن الابن يتأثَّر بصاحبه لاسيما في سن الصغر والشباب، وإياك أن تُهمل ولدك وإياك أن تُضيع ولدك بحجة العلم، وكثيرون يتحججون بمثل هذا وتراهم قد أضاعوا أوقاتًا في السهر والذهاب شرقًا وغربًا في مباحات وأهملوا أولادهم بحجة الانشغال بالعلم.

معنى عداوة الأزواج والأبناء في القرآن:

وأختم ببيان معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤] ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه (عدة الصابرين) أن العداوة عداوتان: عداوة محبة وعداوة بغض، وأن عداوة هؤلاء عداوة محبة، بحيث إن قلبه يتعلق بهم وقد يُهمل بسبب ذلك بعض الطاعات وغير ذلك، وهي فتنة الرجل في ولده ويُكفِّر ذلك الصلاة والصيام كما ذكره عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في صحيح البخاري.

والمقصود أن الرجل لا يُهمل ولا يُبالغ مع أولاده، وأنا أعرف طالب علم جادًا متميزًا، لما تزوج ورُزق بأولاد تعلق بهم تعلقًا شديدًا وفتر في العلم فتورًا كبيرًا، بحجة تلبية حاجات الأبناء وبحجة محبتهم، وهذا من الخطأ فينبغي أن نكون وسطًا بلا إفراط ولا تفريط.

الأدب الخامس: طالب العلم مع المال.

فتنة المال:

ينبغي أن يعلم أن المال فتنة وهو من فتنة الحياة الدنيا، كما قال سبحانه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] وقال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وكم زلَّت أقدام وضاعت أديان، وهلك أقوام، لأجل هذا المال -أسأل الله أن يُعيذنا من شره وهو أرحم الراحمين- وإن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا متفاوتين مع المال، فمنهم من كان فقيرًا لا مال له، ومنهم من كان غنيًا ذا مال، ومنهم من كان تاجرًا يغتني تارة ويقل المال الذي في يده تارة كأبي بكر الصديق-رضي الله عنه-، ومن كان فقيرًا كابن مسعود، وممن كان غنيًا من الصحابة -رضي الله عنهم- عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وهم من المبشرين بالجنة، بل عثمان بن عفان من الخلفاء الراشدين.

وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية على المال كما في (مجموع الفتاوى)، وبيَّن أنه سبب للهلاك كما قال سبحانه: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨-٢٩] وثبت عند الترمذي من حديث كعب بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: « ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه »، ثم بيَّن -رحمه الله تعالى- أن من الصحابة من كان غنيًا ذا مال لكن المال لم يدخل قلوبهم ولم يصدهم عن طاعة الله، بل استعملوا المال في طاعة الله وأقبلوا على المال بنية طيبة.

التعامل الحكيم مع المال:

قد تكلم ابن تيمية عن المال بكلام عظيم في كتابه (الوصية الصغرى) وقال: ينبغي أن يكون المال للمؤمن كالخلاء، يدخل إليه عند الحاجة. أي أنه يأخذ من المال قدر

الحاجة وهو كارهٌ له ولم يتعلق قلبه به، وكلام شيخ الإسلام هذا وإن كان قليلًا إلا أنه صعب للغاية ويحتاج إلى مجاهدة كبيرة.

فأهم ما ينبغي أن يُعلم في المال:

أولًا: أنه فتنة.

ثانيًا: أنه لا ينبغي أن يكون هم المسلمين جمع المال والمنافسة والمسابقة فيه من غير نظر في حله أو حرمته، فضلًا عن طالب العلم.

روى البخاري عن حكيم بن حزام -رضي الله عنه- أنه سأل النبي -ﷺ- مالًا فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، ثم قال له النبي -ﷺ-: «يا حكيم، إن هذا المال حلوٌ خضِر، فمن أُخذه بإشراف نفسٍ لم يُبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع».

لذلك فليُعلم أن مشكلة المال مع طالب العلم ترجع إلى أمور، منها: أنه لابد لطلاب العلم من مال ليقتات ويعيش ويسكن به... إلخ، وتحصيل المال يحتاج إلى وقت، وطالب العلم محتاج إلى الوقت، فيتعارض هنا الأمران، فبقدر ما يُنفق في المال من وقت يقل وقت تحصيله للعلم، لذلك آثر كثيرٌ من العلماء العلم فأصبحوا فقراء في الدنيا واقتصروا على الضروريات، لكنهم قد اعتزوا عند الله سبحانه قبل خلقه وصاروا بفضل الله وكرمه من أهل الطاعة الذين يستحقون جنة عرضها السماوات والأرض، فكيف بطولها.

مشكلة طالب العلم مع المال:

إن النفوس متعلقة بالمال؛ لذلك الناس لا يبذلونه فتكون النفوس شحيحة في بذله، فطالب العلم محتاج إليه والناس شاحّون به، فلا يتيسر له أن يتحصل على المال من الناس في الغالب إلا بذل -إن تحصَّل له- ثم لتعلق النفوس بالمال يُخشى على طالب العلم أن يتلذذ بالمال وينساق وراءه، فيدع طلب العلم أو يُقصر فيه، وما أكثر الذين كانوا طلاب علم يُشار إليهم بالبنان لكن مع تلذذ المال والحرص على جمعه انشغلوا به حتى انصرفوا عن العلم كلية، بل بعضهم -عافاني الله وإياكم- قد وقع في الحرام وترك طاعة الرب الرحمن، وقد رأيت طالبًا يقرأ على شيخنا ابن باز -رحمه الله تعالى- في الفجر كتابًا

لا أريد أن أسميه، فما إن ذهبت الأيام إلا وتنكَّر للتدين وأصبح يعمل في أحد البنوك الربوية!

فلاحظ كيف أن الدنيا تفتن، فمشكلة المال أن النفوس متعلقة به، وأن الناس لا يُنفقونه لتعلق النفوس به إلا بذل -في الغالب- أو أن طالب العلم نفسه يُخشى عليه أن يُفتن بهذا المال.

أمور ينبغي لطالب العلم مُراعاتها مع المال:

الأمر الأول: أن يُجاهد نفسه ألا يتعلق قلبه بالمال، وأن يعلم أن المال وسيلة لا غاية، وهذا مهم للغاية لطالب العلم خاصة وللمسلمين بصفة عامة، وهذه تحتاج إلى مجاهدة وإلى مجالسة أهل الآخرة حتى يُزهّدوه ويُعينوه على مثل هذا الأمر العظيم، أما إذا جالس البطالين وأهل الدنيا فإنهم يُضعفونه ويزيدون ضعفه ضعفًا، ويجعلونه ينظر للمال نظرة غير شرعية، فيُسابق الناس على هذا المال ويتعلق به قلبه.

الأمر الثاني: ينبغي لطالب العلم أن يسعى لطلب الرزق كما قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] طلبًا متوسطًا يُحقق به حاجاته الضرورية والتي لابد منها، وما يُناسب لمثله في مجتمعه، فيسعى في طلب الرزق سعيًا يتوافق مع تحصيله للعلم بألا ينشغل بالمال عن طلب العلم، وليعلم أنه بقدر ما يأخذ منه تحصيل المال فإنه ينقص منه في تحصيل العلم.

الأمر الثالث: ينبغي لطالب العلم أن يُقلل إنفاق المال قدر استطاعته، فإن أعظم طريقة لضبط المال والنفقة هو التقليل من إنفاق المال، روى ابن أبي الدنيا عن يونس بن عبيد أنه قال لرجل: **آمرك بثلاثٍ** ...، وذكر منها: **الاقتصاد في النفقة، فإنها ثلث الكسب.** وصدق -رحمه الله تعالى- وجاء في ذلك حديث مرفوع لكنه لا يصح.

أهمية الاقتصاد في النفقة، والتحذير من التساهل في ذلك:

الاقتصاد في النفقة ثلث الكسب، فإذا أمسكت إمساكًا متوسطًا لا إفراط فيه ولا تفريط وبما يتناسب مع حالك ومع المجتمع، وأحسنت الاقتصاد في النفقة، فإن هذا ثلث الكسب، وقال بعضهم: **بل هو نصف الكسب.** فلذا ينبغي أن نتأمَّل مثل هذا.

ومما ذكر في التراجم عن صالح بن الإمام أحمد أنه كانت تأتيه الأموال، لكنه لم يكن يُحسن النفقة فلذلك كان يحتاج كثيرًا ووقع في مواقع ما كان يرضى بها الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-.

والاقتصاد في النفقة ينفع في أشياء منها: أن يُقلل وقته في تحصيل المال لأنه قد ضبط نفسه في نفقة المال، فتيسر له وقت أكثر في طلب العلم، ومنها أنه لا يحتاج إلى الناس، فإن من لم يضبط أمره في النفقة فإنه سيحتاج إلى الناس، قال الله عز وجل: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ [الإسراء: ٢٩] فلنتق الله ولنكن وسطًا في هذا الباب.

وأنقل كلمات عظيمة لابن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر)، فقال -رحمه الله تعالى-: "**ليس في الدنيا أنفع للعلماء من جمع المال للاستغناء عن الناس؛ فإنها إذا ضم إلى العلم، حيز الكمال** " ويذكر ضمن كلام له عن العلماء، ذكر أن منهم من كان له مال كسعيد بن المسيب، وكان يتجّر في الزيت وغيره، وسفيان الثوري كانت له بضائع، وابن المبارك، قال: "**وأما من كان شديد الصبر، قنوعًا بما رزق، وإن لم يكفه، كبشر الحافي، وأحمد بن حنبل. ومتى لم يجد الإنسان كصبر هذين، ولا كمال أولئك؛ فالظاهر تقلبه في المحن والآفات، وربما تلف دينه. فعليك -ياطالب العلم- بالاجتهاد في جمع المال للغنى عن الناس؛ فإنه يجمع لك دينك!** ". اهـ.

وتكلم ابن مفلح في (الآداب الشرعية) بكلام مفيد في مثل هذا، فقال -رحمه الله تعالى-: "**وقد كان للعلماء قديما حظ من بيت المال يغنيهم، وكان فيهم من يعيش في ظل سلطان كأبي عبيد مع ابن طاهر، والزجاج مع ابن وهب، ثم كان للعلماء من يراعيهم من الإخوان حتى قال ابن المبارك: لولا فلان وفلان ما اتجرت، وكان يبعث بالمال إلى الفضيل وغيرهم، ثم قال ذلك المعنى فصار أقوام من التجار يفتقدون**

العلماء بالزكاة فيندفع الزمان، وقد وصلنا إلى زمان تقطعت فيه هذه الأسباب حتى لو احتاج العالم فطلب لم يعط، فأولى الناس بحفظ المال وتنمية اليسير منه والقناعة بقليله توفيرا لحفظ الدين والجاه، والسلامة من منن العوام الأراذل العالم الذي فيه دين وله أنفة من الذل ...".

ثم قال: "**فالأولى لمثل هذا (العالم) في هذا الزمان المظلم أن يجتهد في كسب إن قدر عليه ...**". ثم قال: "**فلا ينبغي للعاقل أن يعمل بمقتضى الحال الحاضرة، بل يصور كل ما يجوز وقوعه ...**".

وقال: "**وقد كان المتوكل يبعث إلى أولاد الإمام أحمد الألوف، وإنما كان صالح سخيا، فالسخي الذي لا يحسب إلا خيرا لا يفي سخاؤه بما يلقى إذا افتقر.**

واعلم أن الإمساك في حق الكريم جهاد لأنه قد ألف الكرم، كما أن إخراج ما في يد البخيل جهاد. فإنما يستعين الكريم على الإمساك بذكر الحاجة إلى الأنذال قيل لبعض الحكماء: لم حفظت الفلاسفة المال؟ فقال: لئلا يقفوا مواقف لا تليق بهم".

ثم قال: "**فينبغي للعاقل أن يجمع همه ليقبل على العلم والعمل بقلب فارغ من الهم وبعد فإذا صدقت نية العبد، وقصده رزقه الله تعالى، وحفظه من الذل ودخل في قوله تعالى: {ومن يتق الله يجعل له مخرجا - ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه} [الطلاق: ٢ - ٣]** ". اهـ ما أردت انتقاءه من كلام ابن مفلح -رحمه الله تعالى-.

وفي كلام ابن مفلح إلى أمور: منها أن الحال قد تغيرت، فإن العلماء قد كانوا يُكفلون فيما مضى من زمان، بخلاف الأزمان المتأخرة، ثم بعد ذلك قد وُجد لكثير من العلماء من يكلفهم من أهل اليسار، ثم قلَّ هذا الأمر حتى إن من الناس من يتفقدهم بالزكاة، ثم انقطع حتى مثل هذا، وكلام ابن مفلح هو من باب الغالب، وإلا -ولله الحمد- ففي دول كالدولة السعودية -أسأل الله أن يعزها بالتوحيد والسنة- كفالة لأهل العلم ولطلاب العلم وتيسر لهم كثير من الأمور، جزاهم الله عن الإسلام خيرًا.

ويوجد كثير من أهل الخير ممن هم أهل يسار، يتفقدون إخوانهم من أهل العلم، وإن كان الغالب كما حكاه ابن مفلح -رحمه الله تعالى-.

ومما في كلامه أنه قال: " **فالأولى لمثل هذا (العالم) في هذا الزمان المظلم أن يجتهد في كسب إن قدر عليه** " أي: ينبغي للعالم أن يتكسَّب، وقد تقدم بيان هذا، إلا أنه يتكسّب بما يجتمع مع تحصيله للعلم وبالمقدار الذي يحتاج إليه، ومما في كلامه أنه قال: " **فلا ينبغي للعاقل أن يعمل بمقتضى الحال الحاضرة، بل يصور كل ما يجوز وقوعه**" أي: يُقدَّر الأمور بحيث إنه يحفظ ماله للمستقبل، فقد يكثر المال في يده الآن فيحفظه للمستقبل لأن الأحوال قد تتغير وتنقلب من حال إلى حال.

ثم ذكر حال صالح بن الإمام أحمد، وأن السخاء قد أوقعه في الحاجة التي تقدمت الإشارة إليها، وذكر ابن مفلح أنه يصعب على الكريم إمساك المال كما يصعب على البخيل بذلُ المال، إلا أن من تأمل للمآلات فينبغي له أن يأطر نفسه على خلاف ذلك، فقد يكون الرجل معروفًا بالسخاء وبذل الماء وعدم المبالات، وقد يكون ذلك على وجه محمود وقد يكون على وجه المبالغة فيه، فمثل هذا ينبغي أن ينظر للمآلات وأن يتذكر أنه إذا أهمل مثل هذا قد يحتاج إلى الأنذال، فمثل هذا يجعله يكف عن إهماله للمال إما من باب الإنفاق المذموم شرعًا كالمبالغة في الكرم أو حتى في الكرم الذي قد يستوجب على الإنسان أن يتركه أو يترك بعضه لمصلحة أخرى أعظم منه.

ومن كلام ابن مفلح -رحمه الله تعالى- أنه ينبغي لطالب العلم أن يتفرغ وأن يجتمع له فهمه وأن يُقبل بقلب فارغ حتى يفهم، وذكر بعد ذلك نصيحة عظيمة وأن من يتقي الله يجعل له مخرجًا، إلى آخر كلامه.

ثلاث إشارات تتعلق بحال طالب العلم مع المال:

الإشارة الأولى: إن الغنى لطالب العلم أو الفقر ليس مانعًا من تحصيل العلم لمن كان جادًا ووُفق، فمن العلماء من كان غنيًا ولم يزده الغنى إلا جدًا واجتهادًا، ومن العلماء من كان فقيرًا ولم يمنعه الفقر من الجد والاجتهاد في العلم، وروى ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) أنه قال: **كان مالك يقول: «إن هذا الأمر لن ينال حتى يذاق فيه**

طعم الفقر، وذكر ما نزل بربيعة من الفقر في طلب العلم حتى باع خشب سقف بيته في طلب العلم وحتى كان يأكل ما يلقى على مزابل المدينة من الزبيب وعصارة التمر».

وكثير من الناس يظن أن الغنى مُعين بخلاف الفقر، ومن تدبَّر أدلة الكتاب والسنة وحال الناس علِمَ أن الغنى يصرف عن العلم أكثر من الفقر، فإن فتنة السرَّاء أعظم من فتنة الضرَّاء، وقد تكلم على هذا ابن مفلح في أوائل كتابه (الآداب الشرعية) ونقل عن سعد -رضي الله عنه- أنه قال: **ابتُلينا بالضراء فصبرنا، وابتُلينا بالسراء فما استطعنا.**

قال ابن الجوزي: **وذلك كالجائع، فإنه إذا لم يُوضع أمامه الطعام صبَر، لكن إذا وُضع أمامه الطعام لم يستطع الصبر.**

لذلك فليعلم طالب العلم أن الغنى ليس مانعًا وأن الفقر ليس مانعًا، وأن الجاد يستطيع أن يطلب العلم وأن يتميز فيه وأن يتقدم فيه سواء كان غنيًا أو فقيرًا.

الإشارة الثانية: من النماذج العجيبة العلامة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى- فهو مجدد في أبواب كثيرة من أبواب الدين، فهو مجدد في علم الحديث، ومُجدد في معرفة الجماعات والأحزاب ومعرفة مداخلها وطريقة تلبيسها، ومجدد في تمييز البدع الإضافية العملية من غيرها، ومجدد في ضبط الجهاد بضوابطه الشرعية، ومجدد في باب التكفير والرد على الغلاة فيه، ومجدد في إحياء فهم السلف والدعوة السلفية وأنه لابد أن يُفهم الكتاب والسنة بفهم السلف.

فهذا الإمام -رحمه الله تعالى- قد عاش فقيرًا وكان يبيع في الساعات، وبقدر تحصيله ما يحتاج إليه في اليوم ينتهي من البيع ويرجع إلى طلب العلم، وعمل أيضًا سائقًا للسيارة بأجرة كسيارات الأجرة المعروفة، بحيث إنه إذا حصَّل قوته توقف واشتغل بطلب العلم، وبنى بيته بيده لشدة فقره، ومع ذلك لم يمنعه هذا الأمر من تحصيل العلم، وأصبح من نوادر العلماء في هذه القرون المتأخرة في التأليف وفي دراسة علم الحديث وتقريب السنة للناس، بل لعله لم يأتِ مثله من قرون -رحمه الله تعالى- فضلًا عن بقية أبواب الدين التي تقدم ذكرها.

وفي المقابل العلامة عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى- عاش فقيرًا، وغدقت عليه دولة التوحيد والسنة الدولة السعودية، ومع ذلك أبى إلا أن يُقسم المال على البعيد والقريب حتى مات مديونًا وتكفَّلت الدولة بقضاء دينه جزاها الله خيرًا.

وقد كان المال بين يدي العلامة ابن باز -رحمه الله تعالى- وكان يُنفقه، ومع ذلك وجود المال بين يديه لم يمنعه من تحصيل العلم، فيا طلاب العلم جدوا واجتهدوا واحتسبوا وعلموا أن الدنيا دار ممر، وقليلة الزمان، والآخرة خير وأبقى.

الإشارة الثالثة: أدعو أهل اليسر والغنى أن يهتبلوا فرصة كفالة طلاب العلم، وإعطائهم المال والتوسيع عليهم ليستمروا في تعلم العلم وتعليمه وتجديد الشريعة وتنقيتها، والله إن الإنفاق على طلاب العلم الجادين ومحاولة تيسير هذا الباب لهم بحيث ألا ينشغلوا بالمال، والله إن في هذا أجرًا عظيمًا أكثر من القيام على الأيتام، فإنه مع عظيم أجر القيام على اليتيم بالنفقة أو على الفقراء من الأسر إلا أن نفع هؤلاء قاصر عليهم، أما طلاب العلم فنفعهم متعد، وهم ورثة الأنبياء والمرسلين.

فأدعو أهل اليسر والغنى أن يكفلوا طلاب العلم، كلٌ بما يستطيع، فإذا كان يسرك وغناك بقدر فاكفل واحدًا أو اثنين في بلدك أو خارج بلدك، وكلما كثُر مالك زد كفالة من تستطيع من طلاب العلم، إنهم حراس الشريعة وحماتها، إنهم المُنقون للشريعة من الدخيل فيها، والله لا يبقى هذا الدين ظاهرًا جليًا إلا بوجود أهل العلم.

ثم أدعو إخواننا ممن لديهم نشاط وحماسة وإن لم يكونوا أهل يسر وغنى أن يقوموا بمثل هذه البرامج، بجمع الأموال من أهل الخير وكفالة طلاب العلم وتفقد الجادين منهم بكفالة تغنيهم في هذا الباب، ويتيسر له الجد والتحصيل في طلب العلم.

وقد أطلت في الكلام عن هذا الأدب لمسيس الحاجة إليه وأهميته.

الأدب السادس: طالب مع الحفظ.

لابد لطالب العلم أن يكون ذا حفظ، وقد امتدح الله أهل العلم بأنهم أهل حفظ، كما قال سبحانه: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] فهذه هي صفة أهل العلم، أنهم يحفظون.

وجه أهمية الحفظ لطالب العلم:

إن الشريعة ما بين نقلٍ أو فهم، فهي نقل لكتاب الله وسنة النبي -ﷺ- والنقل إنما يُضبط بالحفظ. وقد روى الإمام مسلم عن زيد بن أخطب -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- صلى بهم الفجر ثم صعد على المنبر فخطبهم حتى أتى الظهر، ثم نزل وصلى بهم الظهر ثم صعد المنبر فخطبهم ...إلى آخر الحديث، قال: "فأعلمنا أحفظنا". وهذا هو الشاهد.

وروى ابن عبد البر في كتابه (جامع بيان العلم وفضله)، والخطيب البغدادي في كتابه (الفقيه والمتفق) عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال: "**إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي**". إلى غير ذلك من الآثار الكثيرة في الحفظ، فالسلف كانوا معتنين بالحفظ، ومن أعظم سمات أهل العلم أنهم يحفظون.

قال شيخ الإسلام في كتابه (الرد على البكري): **والعلم شيئان، إما نقل مُصدَّق وإما بحث مُحقق، وما سوى ذلك فهذيان مسروق**. إذن الشريعة ترجع إلى هذين الأمرين، إما إلى نقل أو إلى فهم، والنقل لابد فيه من الحفظ.

المحفوظات من حيث الجملة نوعان:

المحفوظات إما دليل شرعي يُستدل به، وهذا هو كتاب الله وسنة النبي -ﷺ- وآثار الصحابة، فيُحفظ ليُستدل به، أو ما يُحفظ ليُضبط به العلم، فيُحفظ متنٌ في علم أصول الفقه ليُضبط، ومتنٌ في علم النحو ليُضبط، ومتنٌ في علم الفقه ليُضبط، ومتن في علم الاعتقاد، ومتن في علم التوحيد ...إلخ.

يُراعى في الحفظ أمور:

الأمر الأول: عمر المتلقي للعلم، فإذا كان عمره صغيرًا ولا يزال شابًا فإن مثل هؤلاء لا سيما إذا كان صغيرًا يُغلب جانب الحفظ على الفهم ويُكثر المحفوظات؛ لأن حفظه أسرع وأضبط، بخلاف ما إذا كبرت به السن، وكلما تقدم ضعف الحفظ، وهذا في الناس من حيث العموم وهم متفاوتون في ذلك.

الأمر الثاني: اختلاف العلوم، فمن العلوم ما ينبغي أن يُحفظ فيها المتون ولأنها أساس ولابد أن تُضبط كالتوحيد، فلابد من حفظ كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وكان شيخنا العلامة ابن باز -رحمه الله تعالى- يُوصي به كثيرًا، وكذلك لابد من حفظ العقيدة الواسطية، وكان شيخنا ابن باز يُوصي بحفظهما كثيرًا، فهذان المتنان عظيمان فلابد من حفظهما ودراستهما وتدارسهما وتدريسهما، لما فيهما من العلم الكثير ولأنهما أصل في باب التوحيد والاعتقاد.

وكذلك فيما يتعلق بالنحو، يحفظ طالب العلم الآجرومية، وإذا كان ذا همة يحفظ الألفية، وهكذا بقية العلوم، إلا أنه يُراعي ما تقدم ذكره من اختلاف العمر تقدمًا وتأخرًا، ثم ضبطًا، لأن المراد من حفظ هذه المتون هو أن يُضبط العلم، فإذا رأى نفسه قد ضبط علمًا فليس في حاجة إلى أن يحفظ المتن، لكن إذا رأى أن ضبطه تعسَّر عليه فمثل هذا ينبغي له أن يحفظ فيه متنًا ويُركز في هذا المتن حتى يسهل عليه فهم هذا العلم. فالأمر يتفاوت من حال إلى حال، ومن علم إلى علم، ومن شخص إلى شخص، ويُنظر في ذلك إلى العمر، وحفظ هذه المتون ليس مرادًا لذاتها وإنما مُراد لضبط العلم.

***تنبيه:** يحتار كثير من طلاب العلم في الجمع بين الحفظ والفهم، فإن طالب العلم مُطالب بالفهم كما هو مُطالب بالحفظ، بل الفهم هو المقصود، ويُوضح ذلك: لو أن مسؤولًا خاطب رجلًا بخطاب، ثم هذا المُخاطب حفظ الخطاب لكنه لم يفهمه، فإذن لن يستجيب لما يريده المسؤول، فلابد من الفهم وقد جاء فيه من الفضل ما جاء، قال الله عز وجل: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾ [الأنبياء: ٧٩] وروى

البخاري في قصة أبي جُحيفة مع علي، لما قال: هل خصكم النبي -ﷺ- بشيء؟ فقال: **"لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهمًا يُعطيه الله رجلًا في القرآن"**. وأخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى قال -ﷺ-: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ...» الحديث، فهؤلاء هم الذين جمعوا بين الفهم والحفظ كما بيَّنه الخطيب البغدادي في كتابه (الفقيه والمتفقه)، وابن القيم في كتابه (أعلام الموقعين).

وللسلف كلمات عظيمة في أهمية الفهم، ذكر ابن مفلح في (الآداب الشرعية) أنه قال: **معرفة معاني الحديث وتفسيره أشد من حفظه.** وقال علي بن المديني: **التفقه في معاني الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم.** رواه الخطيب. وكلمات أهل العلم كثيرة في هذا الباب.

فإذا تبيَّن هذا فإن طالب العلم يتعامل مع هذا الأمر في حياته العملية: فبالنسبة للقرآن فلابد من حفظه، وأما السنة النبوية فهي كثيرة للغاية، ولا يمكن أن يُقال لطالب العلم: احفظ الصحيحين، ثم السنن الأربعة ثم مسند أحمد، ثم ثم ...إلخ، فإن من فعل ذلك ذهب عليه عمره ولم يشتغل بالأهم وهو الفهم، وإنما يحفظ من الحديث النبوي: (الأربعين النووية)، ويحفظ في الأحكام (بلوغ المرام)، فإن الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- اهتم بهذا الكتاب اهتمامًا كبيرًا، وذكر أشهر الأدلة التي يستدل بها الفقهاء في باب الفقه، وهو أولى من حفظ (عمدة الأحكام)، وميزة عمدة الأحكام أنه متفق عليه في الغالب إلا أن المصنف وهم في بعض الأحاديث، لكن (بلوغ المرام) شامل لكثير من الأحكام وهو أفضل كتاب مختصر أُلف في أحاديث الأحكام، لذلك لابد لطالب العلم أن يحفظه ويجاهد نفسه على ذلك، فإن استطاع أن يجمع إليه حفظ (عمدة الأحكام) فطيب، وإن كان ذا همة ومن الله عليه وحفظ (رياض الصالحين) فهذا مفيد للغاية، وبعد ذلك يشتغل بالفهم وبالمراجعة.

فينبغي لطالب العلم أن يجتهد غالب الاجتهاد وألا يُغلب جانب الحفظ على الفهم وفي المقابل ألا يُهمل الحفظ، فلابد من الحفظ والاجتهاد فيه، إلا أن الفهم أولى مع أهمية الحفظ، ومما يُتحسر عليه أن ترى طائفة اشتغلت بالحفظ دون الفهم، فحفظت البخاري ومسلم ثم زوائد البخاري ومسلم، ولم تفهم فأصبحوا أشباه عوام، وهؤلاء

مذمومون لأنهم تركوا الفهم، لكن لو قُدر أنهم جمعوا بين الأمرين فهذا خير عظيم، وهذا قل أن يوجد في الناس، وطالب العلم ينبغي ألا يُخاطر، فإن العمر واحد وليس هو محلًا للتجارب، والمقابل لهؤلاء أناس أهملوا الحفظ للغاية، فترى طلاب علم لا يُحسنون ذكر حديث نبوي لأنهم قد أهملوا الحفظ، وهذا خطأ، وينبغي أن نجمع بين الأمرين.

الأدب السابع: طالب العلم والمراجعة.

قيمة كل امرئٍ ما يُحسنه:

إن المراجعة من أعظم أسباب ضبط العلم، والله لا يمكن أن يكون الرجل عالمًا ولا طالب علم إذا لم يكن ممن يراجع العلم، وقد روى الخطيب البغدادي وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) عن علي -رضي الله عنه- أنه قال: **"قيمة كل امرئٍ ما يُحسنه"** وروى الخطيب في كتابه (الفقيه والمتفقه) وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) عن الزهري قال: **"إنما يُذهب العلم النسيان وترك المذاكرة"**. ومن أسباب النسيان وترك المذاكرة عدم المراجعة، والمراجعة ثقيلة لكنها هي العلم الحقيقي، فطالب العلم إذا درس على الشيخ أخذ العلم، واستولى عليه وصار العلم في قبضته، لكن ثبات هذا العلم في قبضته وبقاء هذا العلم معه إنما يكون بالمراجعة.

إن هناك أقوامًا كثيرين حفظوا القرآن وتعبوا، حتى انتقل القرآن إلى صدورهم، لكنه فرَّ وتركهم، ومن أسباب ذلك ترك المراجعة، فمن حفظ القرآن واستمر حافظًا له عشر سنوات، ثم بعد ذلك أهمله ونسيه، فإنه بعد هذا لا يُقال إنه حافظ للقرآن، وإنما لا يحفظ من القرآن إلا ما ضبطه وأحسنه، فإذا قُدر أنه لا يضبط من القرآن إلا جزئين فيقال: إن مثله لا يحفظ إلا جزئين، ولا يُقال إنه يحفظ القرآن.

ما يُراجع من حيث الجملة نوعان:

النوع الأول: المحفوظ، وهذا واضح بحيث إنه إذا حفظ القرآن أو أحاديث الأحكام أو آثار الصحابة، أو غير ذلك، فإنه يُراجع المحفوظ، وهذا يحتاج لجد واجتهاد، وأنفع وقت له ابتداء اليوم، فإذا صلى الفجر وانتهى من الأذكار يشتغل بمراجعة المحفوظ وحفظ الجديد، فإن هذا الوقت مبارك وقد جُرب أن من أهمله صعُب عليه أن يُرجع بعد ذلك، فإذا كان لطالب العلم ورد يُراجع فيه القرآن أو يُراجع فيه أحاديث نبوية ولم يفعل ذلك في أمثال هذه الأوقات فكثيرًا ما يصعب عليه في بقية اليوم، فينبغي أن يتدارك أول اليوم بمراجعة المحفوظات.

النوع الثاني: مراجعة المفهوم، فلابد لطالب العلم أنه لما درس العلم فهم مسائل كثيرة، وهذه المسائل إذا لم تُراجع وتُضبط وتستقر فإنها تفر، كما تقدم ذكر هذا فيما سبق في باب المراجعة وحفظ طالب العلم للقرآن، فالعلم كثير ولا يمكن أن يُضبط إلا بكثرة المراجعة، إذا درس الفقه أو أصول الفقه أو مصطلح الحديث وغير ذلك من العلوم على أحد المشايخ الفضلاء، فإنه يُراجع المسائل حتى تستقر.

الأدب الثامن: طالب العلم مع شيوخه.

منزلة العلماء:

ينبغي أن يُعلم أن لأهل العلم منزلة ومكانة في الإسلام، ولهم حقًا على المسلمين، وقد تكاثرت الآيات والأحاديث النبوية في بيان فضلهم، ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] فقد قَرَنَ شهادة أهل العلم بشهادته سبحانه وتعالى، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وغير ذلك من الآيات.

وهذا فضل أهل العلم على أمة محمد -ﷺ- بصفة عامة، أما فضل أهل العلم على من تلقى عنهم العلم وجلس بين أيديهم ودرس عليهم، فإن فضلهم عليه أعظم وأعظم، فإن من صنع إلى إنسان معروفًا من الدنيا فإنه ينبغي له أن يُقابل المعروف بالمعروف، وأن يحفظ له هذا الجميل.

ثبت عند أبي داود من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي -ﷺ- قال: «من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تُكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»، هذا في عموم المعروف سواء كان من أمور الدنيا أو غيرها، فكيف إذا كان المعروف في أمر ديني؟ بل فيما هو أعظم من ذلك كتعليم العلم؟

فإن لمشايخنا ومعلمينا فضلًا علينا عظيمًا، أسأل الله أن يجزيهم عنا خيرًا، وأن يرفع درجتهم في عليين، وأن يُصلح لهم النية والذرية، وأن يجمعنا بهم ووالدينا وأحبابنا في الفردوس الأعلى يا رب العالمين.

ثبت عند عبد الرزاق عن طاووس أنه قال: **إن من السنة توقير العالم.** وروى ابن عبد البر في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) عن شعبة أنه قال: **كل من سمعت منه حديثًا فأنا له عبد.**

ليكن طالب العلم كالنحلة في الاستفادة من شيوخه :

العلماء متفاوتون في تحصيلهم للعلم وتدقيقهم ودراستهم له كما أنهم متفاوتون في حسن تعليمهم وتدريسهم وتعاملهم مع الطالب، ولا يوجد أحد كامل، فينبغي لطالب العلم أن يكون كالنحلة ويأخذ من كل عالم أحسن ما عنده، فإذا رأى أمرًا حسنًا عظمه في نفسه وفرح به، وإذا رأى خلاف ذلك تغافل عنه وأعرض عنه، ومن صنع مثل هذا فهو من الموفقين، بخلاف من خالف ذلك وصار من المخذولين، فإن بعضهم يجلس إلى العلماء وطلاب العلم فلا يحفظ إلا أسوأ ما عندهم ولا يتناقل إلا ما رأى من سيء فعالهم وأقوالهم.

وهذا من الخطأ الكبير، ينبغي أن نكون وسطًا في الباب، أن نعرف لمشايخنا قدرهم، وأن نستفيد ونأخذ من كل شيخ أحسن ما عنده ونكون كالنحلة في ذلك، مع حفظ مكانته وتقديره والدعاء له، كما روى ابن عبد البر عن أيوب أنه قال: **إنك لا تعرف خطأ معلمك حتى تجالس غيره.** وصدق -رحمه الله تعالى-.

فلا نكون كبعض المتعصبة يلزم المشايخ ويأخذ من عندهم الخطأ والصواب، ولا في المقابل كالمخذولين الذين تقدمت الإشارة إليهم، وأؤكد أنه ينبغي أن ننتقي من المشايخ أنفعهم، فإذا درس طالب العلم على مشايخ كثيرين فرأى أنفعهم له فلانًا أو فلانًا، فإن يلزمه، فإن من المشايخ من يكون قد وُفِّق لدراسة علم وتحقيقه ما لم يُوفق غيرهم، فمثل هذا ينبغي أن تُعض عليه بالنواجذ وأن يُستفاد منه؛ لأن مثله يختصر لك الطريق، وثانيًا يُحقق لك المسائل ويفتح لك الأمور المغلقة التي قد لا تجدها عند غيره، وقد ذكر الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- الشافعي وأنه استفاد منه كثيرًا؛ لأن الإمام الشافعي كان من الأئمة النوادر المبرزين المحققين -رحمه الله تعالى-.

وكذلك ابن القيم كان طالب علم وصاحب علم قبل أن يُدرك شيخ الإسلام، مع أنه كان صوفيًا كما ذكر عن نفسه في النونية، فلما أدرك شيخ الإسلام عضَّ عليه بالنواجذ؛ لأنه وجد بحرًا عميقًا كبيرًا في تحقيق العلم ودراسته، فقرأ عليه كثيرًا من كتبه، كما ذكر هذا في النونية -رحمه الله تعالى-.

فينبغي لنا أن نعرف لمشايخنا قدرهم، وألا نتعصب لهم، وأن نُظهر الحسن منهم وأن نُعظمه وأن نستر الخطأ والنقص عندهم، وألا نسمح لأحد أن يتكلم فيهم أو أن يُبرز أخطاءهم أو غير ذلك، كما يحصل من بعض طلاب العلم المشؤومين المخذولين إذا اجتمعوا، وهذا من الخطأ الكبير، وكلامي على علماء السنة لا على أهل البدعة، أسأل الله أن يجزي علماءنا عنا خيرًا وأن يرفع درجتهم في عليين.

الأدب التاسع: طالب العلم مع الدرس.

قيمة الدرس الذي يُقدمه الأستاذ:

ينبغي أن يعرف طالب العلم قيمة الدرس الذي يُقدمه له أستاذه ومعلمه وشيخه، فإن ما يُقدمه المعلمون والأساتذة هي عصارة قد يتلقاها الطالب في ساعة أو نصف ساعة، لكنه لو بحث بنفسه واجتهد بنفسه فقد تأخذ منه أيامًا بل أسابيع من غير مبالغة، لذا ينبغي لطالب العلم في الدرس أن يكون وسطًا، فلا يُبالغ بحيث يشعر أنه ليس أهلًا لفهم الدرس، وكم فُتن بهذا جمع من طلاب العلم حتى تأخروا واتهموا أنفسهم بأنهم لا يستطيعون فهم الدرس وليسوا أهلًا للعلم، وفي المقابل لا يستسهلن الدرس ويحتقره، حتى إن بعض طلبة العلم يقول: وما عسى أن يُقدم شيخنا وكل ما يُقدمه موجود في الكتب؟

لا شك أنه موجود في الكتب، لكنه ليس موجودًا بهذه الطريقة، وثانيًا الموجود في الكتب كثير، والشيخ ينتقي لك الأنفع والأيسر وما دلَّ عليه الدليل، وثالثًا الموجود في الكتب قد يكون فيه تعارض ولا يُحسن التعامل معها إلا من رسخت قدمه، فلو أقدمت عليه ما استطعت أن تصل لنتيجة، بخلاف ما يُقدمه الشيخ فإنه قد بلغ مبلغًا في العلم فيستطيع أن يتعامل مع ما في الكتب.

والطلاب يتفاوتون في تحصيلهم ودراستهم وزمن طلبهم للعلم، فقد يحضر الأول ويستفيد بنسبة ثمانين في المائة، ويحضر الثاني ويستفيد بنسبة أربعين في المائة، ويحضر الثالث ويستفيد بنسبة عشرة بالمائة، وهذا لا يجعل الأخير يزهد؛ لأن هذه العشرة بالمائة قد لا يجدها بسهولة، قد تجلس في درس ساعة ولا تستفيد إلا بما يُعادل عشر دقائق، لكنك استفدت شيئًا ليس من السهولة أن تصل إليه، أو قد تموت ولم تصل إليه لأسباب كثيرة.

التأدب أثناء الدرس:

إذا حضر طالب العلم الدرس فليكن جادًا وحَسَنَ الاستماع، ومُقبلًا على الشيخ بكليته، ليرى الشيخ جده وحرصه فيُقابله بالمثل، وألا يكون مُتعنتًا مُحاولًا إظهار أخطاء الشيخ أو تناقضه أو غير ذلك، فقد يُحرم، وقد ذكر ابن عبد البر آثارًا عن أبي سلمة -رضي الله عنه ورحمه- أنه حُرم من علم ابن عباس لأنه كان يُعارضه في الدرس، فقالت عائشة: ما أنت إلا فرُّوخ تصيح إذا صاحت الديكة... أو كلامًا نحو هذا. فندم بعد ذلك أبو سلمة على ما كان يفعل في درس ابن عباس وأنه حُرم علمًا كثيرًا، فمهما كان الشيخ ينبغي إذا حضرت درسه أن تُظهر اهتمامك، وأن تُظهر فرحك بالعلم، وأن تُظهر إقبالك عليه، وأن تُظهر حسن استماعك، وإذا ورد عليك إشكال تُورد الإشكال بأدب حتى تستخرج العلم والفائدة منه.

فهذه الدروس مفيدة للغاية وعلى طالب العلم أن يكون له درس أو درسان مع المشايخ لا يقطعها، لاسيما إذا كان الشيخ صاحب تحقيق وفوائد مهمة في العلم، ومما يُتحسر له أن كثيرًا من الطلاب يحضرون كثيرًا من دروس المشايخ بنفسٍ فيها هزالة وعدم حرص، تارة يعبث بجواله وما إن يهتف به هاتف على الجوال إلا ويفزع إلى الجوال ويخرج من الدرس، أو يتحدث مع زميله أو ينام في الدرس، علمًا أنه قد ينام الإنسان عرضًا لأمر لا يملكه بأن يهجم عليه النوم، لكن أن تُصبح عادة له، فهذا مذموم، فينبغي أن يحضر الدرس وهو نشيط وقد نام قبل ذلك.

الأدب العاشر: طريقة ضبط العلم وتحصيله.

الدارسين للعلم على أقسام ثلاثة من حيث الجملة:

القسم الأول: المبتدئون، وهؤلاء ينبغي أن يشتغلوا بحفظ المتون وبعرضه على شيخ موثوق أو شيخين، ويُتقن كلام شيخه ويفهم المتن الذي يدرسه، ويفهم صورة المسألة، ودليلها، ويتحفَّظ ذلك ويضبطه غاية الضبط والفهم حتى يُصبح هذا المتن أساسًا له في دراسة العلم وتحصيله.

القسم الثاني: من درسوا المتون على المشايخ، وبدأوا يقفون على أقدامهم، فمثل هؤلاء ينبغي أن يجعلوا لهم في كل علم متنًا ويكتبون شرحًا عليه، ففي توحيد الإلهية يجعل له كتاب التوحيد متنًا أساسًا، ويرجع لعدة شروح ويُلخص هذه الشروح ويُعلقها على المتن، بحيث إنه يجمع أهم ما في شروح كتاب التوحيد على متن بين يديه، أو يكتبه في الحاسب الآلي بحيث إذا أراد أن يُراجع يجد شرحًا قد لخصه من عدة شروح، فيُكثر مراجعة هذا حتى يثبت في ذاكرته وفي نفسه معنى الكتاب والشرح عليه، وأن في هذه المسألة ذكر العالم الفلاني كذا، أو أن في هذه المسألة قولين ...إلخ، ومن فعل ذلك في كتاب التوحيد والعقيدة الواسطية، وفي أصول الفقه في كتاب (الأصول من علم الأصول) وفي مصطلح الحديث (نخبة الفكر) ...إلخ العلوم المهمة، فمن فعل ذلك فسيخرج بعلم غزير لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ثم بعد ذلك يتوسَّع بأن يكتب شرحًا من عند نفسه يُراجع فيه الشروح، إذا ورد عليه حديث يرجع إلى شراح كتب الحديث، وإذا وردت عليه مسألة فقهية يرجع لكتب الفقه، وهكذا يفعل، وسيحصل علمًا كثيرًا برحمة الله، فلو أن طالبًا وضع بين يديه عمدة الفقه، وسبق أن درسه على شيخه وضبطه وعرف أدلته، وارتقى الطالب إلى القسم الثاني ثم جمع بعض الشروح ولخصها على هذا الشرح، ثم بعد ذلك توسَّع بالرجوع إلى شراح الأحاديث وكتب الفقه الأخرى المطولة، ثم درس هذا المتن، فإنه سيستفيد فائدة كبيرة للغاية.

القسم الثالث: من تجاوز القسم الثاني، فينبغي له أن يُعلم الناس، ومن أعظم فوائد تعليم الناس العلم ثبات العلم ورسوخه في نفس المعلم، فينبغي لطالب العلم أن يُلازم الدراسة والتدريس، وينشر العلم ويضع دروسًا في المسجد بين طلاب العلم، ومن أتاه من طلاب العلم ممن يستحقون درسًا يضع درسًا لهم، ويضع درسًا للعوام، ويضع درسًا في بعض القرى القريبة، المهم أن يكون نشيطًا في نشر العلم، روى أبو عثمان الصابوني في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث عن الزهري أنه قال: **تعليم سنة خير من عبادة مائتي سنة.** وروى الدارمي عن ابن عباس أنه قال: **معلم الخير يستغفر له كل شيء، حتى الحوت في البحر.**

أهمية نشر العلم، وبعض أساليب المطالعة وتدوين الفوائد:

ينبغي لطالب العلم أن يكون نشيطًا في نشر العلم، ففيه فائدة عظيمة له هو في ثبات العلم في نفسه، وسرعة الاستحضار وسهولته، وفائدة في نشر العلم، فإذا نشر التوحيد والسنة تبدد مقابل ذلك الشرك والبدعة والجهل -عافاني الله وإياكم- ومع نشره للعلم بالدروس هو يتوسَّع في القراءات، ويجعل له صفحات معينة يقرأ فيها كل يوم، فمثلًا يقرأ من (مجموع الفتاوى) كل يوم خمسين صفحة، أو مائة صفحة، ويفتتح صباحه بعبادته الخاصة من أوراد الصباح وقراءة القرآن ...إلخ، ثم يُراجع محفوظاته ثم يبدأ بقراءة ورده اليومي من كتب أهل العلم بأن يقرأ كل يوم مائة صفحة أو خمسين صفحة، بحسب حاله.

وعند قراءته للكتاب تمر عليه فوائد فيُعلق هذه الفوائد على غلاف الكتاب، ومع الأيام تتسع مداركه بأن مر على كتب عظيمة لاسيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم -رحمهم الله تعالى- فليجتهد على كتب هذين العالمين، ومثله كتب ابن رجب لاسيما شرحه على البخاري وشرح الأربعين، ففي هذه الكتب فوائد عظيمة لابن رجب -رحمه الله تعالى-.

وفي الوقت نفسه يجعل له متنًا يشرحه شرحًا مطولًا، يزيد على شرحه الأول، بحيث يصبح هذا مرجعًا له في الفقه، قد بسط فيه المسائل، ومثل ذلك يفعل في

التوحيد وفي العقيدة كالتوحيد والواسطية وأصول الفقه ومصطلح الحديث والتفسير ...إلخ، فبهذه الطريقة سيجمع علمًا كثيرًا مع المراجعة والضبط وإلقاء الدروس، ويُحضر مما بحث فيه وجمعه، فإذا أراد أن يشرح كتابًا في الفقه فإذا به قد جمع أشياء كثيرة في الفقه، فيستفيد مما حضره ويزيد عليه ويُنقص، وكلما بدت له فائدة أضافها، أو أراد أن يُغير رأيه في شيء مكتوب ألا يمسح القديم، بل يكتب: "ثم بدا لي.." ويكتب ما بدا له ووجه كون هذا القول ترجَّح لديه بخلاف الأول، ومن فوائد هذا: أنه في المستقبل قد يُصاب بالنسيان ولا يدري لماذا اختار هذا القول دون غيره، ثم في المستقبل قد يلتبس عليه الأمر ولا يدري أي القولين هو القول الأخير الذي استقر عليه، وغير ذلك من الفوائد.

والكلام في باب العلم مهم ويطول للغاية، وإنما أدعو نفسي وإخواني إلى الجد والاجتهاد بعد الاستعانة بالله الذي لا إله إلا هو، وليعلم أنه لم يُوفق مُوفق إلا توفيق الله له، فلنستجلب توفيق الله ورضاه بعبادته والدعاء والإقبال إليه والانكسار بين يديه، حتى يفتح علينا من كنوزه سبحانه وتعالى، فنحن نريد العلم الذي هو الوحي وهو أفضل شيء، وهذا ليس لكل أحد وإنما لمن وفقه الله سبحانه وتعالى.

ولعل فيما تقدم كفاية، وأوصي إخواننا بمراجعة الكتب في آداب طلب العلم، وأن يجتهدوا في ذلك، فمن الكتب المفيدة: كتاب الشيخ الفاضل حمد العثمان بعنوان: (النُبذ في آداب طلب العلم)، فليقرأه طالب العلم فإن فيه فوائد نفيسة، وليقرأ كتاب (الفقيه والمتفقه) للخطيب البغدادي، وكتاب (جامع بيان العلم وفضله) لابن عبد البر، ورسالة (حلية طالب العلم) لبكر أبو زيد، فإنها مفيدة ولشيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين شرح عليها وهو مفيد للغاية.

أسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يحيينا جميعًا على التوحيد والسنة وأن يُميتنا على ذلك، وجزاكم الله خيرًا.